المُخَبَّل السعدي بين الجاهلية والإسلام

السيدة دلال هاشم كريم
جامعة تكريت . كلية التربية / سامراء . قسم اللغة العربية

المقدمة

على الرغم من الدراسات الكثيرة التي تناولت الأدب الجاهلي وشعراءه ، إلا أنه ما زال هناك مجالاً للدرس والبحث في موضوعاته ، بل أكثر من ذلك أنه ممكن لأي موضوع ، مهما كثرت دراساته ، أن يتحمل الدراسات والبحث من جوانب مختلفة ومتعددة ، ومن هذه الدراسات ما نحن بصدده من بحث حياة الشاعر (المخبل السعدي) وشعره ، فعلى الرغم من أن الشاعر قد حظي بدراسات عديدة ، وإن كانت قليلة ونزيرة نسبة إلى الشعراء الآخرين ، إلاَّ أنه ما زال شعره ثرًّا غنيًّا ، يمكن سبر أغواره ، لتسليط الضوء على فنيَّة قصائده ، فقد جمع الدكتور حاتم صالح الضامن شعره في كتابه (عشرة شعراء مقلون) ، مقدمًا حياته باستعراض سريع ، ذاكرًا القصائد من دون تحليل ، وإنما أراد الفوز بجمع الأشعار من عدة مصادر ذكرها في كتابه ، ولا يخفى على دارس الأدب العربي قبل الإسلام من أن المخبل السعدي من الشعراء المخضرمين ، عاش في العصر (الجاهلي) ، وبعضًا من (العصر الإسلامي) ، فلهذا أردت أن يكون عنوان بحثي (المخبل السعدي بين الجاهلية والإسلام) ، لأبين أثر خضرمته وأثر الإسلام في أساليب شعره .

حياته :

هو الربيع بن ربيعة[١] بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم[٢] .

ولعل الصحيح أنه الربيع بن ربيعة بن قتال ، وهذا ما اختاره الباحث من دون الروايات الأُخر ، والذي يؤكد ذلك قوله :

إذا قالَ صَحبي يا رَبيعُ أَلا تَرى أَرى الشَخصَ كَالشَخصَينِ وَهوَ قَريبُ[٣]

وقوله في هجاء الزبرقان بن بدر :

وَأَبوكَ بَدرٌ كانَ مُشتَرَطَ الخُصى وَأَبي الجَوادُ رَبيعَةُ بنُ قِتالِ[٤]

ويكنى الشاعر أبا يزيد ، وإياه عنى الفرزدق في قوله :

وَهَبَ القَصائِدَ لي النَوابِغُ إِذ مَضَوا وَأَبو يَزيدَ وَذو القُروحِ وَجَرولُ[٥]

وجعله الفرزدق من فحول الشعراء المجيدين المعروفين ، فأنزله بمنزلة ذي القروح (امرئ القيس) ، وجرول (الحطيئة) ، مؤكِّدًا أن الشاعر يمتاز بالجودة الشعرية والفنية ، التي لا تقل عن فنية امرئ القيس والحطيئة في الشعر .

ولعل كنية أبي يزيد قد لازمته منذ طفولته ، كما هي عادة العرب في أن يكنى المرء من دون أن يكون له ولد ، وليس للمخبل السعدي ابن غير شيبان ، الذي قال فيه:

أَيُهلِكُني شَيبانُ في كُلِّ لَيلَةٍ لِقَلبِيَ مِن خَوفِ الفِراقِ وَجيبُ[٦]

وولده زرارة[٧] ، الذي كان شاعرًا ، ومن شعره مفتخرًا قوله :

فَازَ المُخَالِسُ لَمَّا أنْ جَرَى طَلَقاً أمَّا حُطَيمُ بنُ عِلْبَاءَ فَقَدْ غُلِبَا[٨]

لم يكن للمخبل ، بحسب ذكر الروايات ــ ابن في الجاهلية[٩] ، وهذا ما يؤكد اعتقادنا أن كنيته (أبا يزيد) لازمته من دون أن يكون له ولد اسمه يزيد .

و المخبل لقبه[١٠] ، و معنى المخبل ، : المجنون[١١] ، ولم يُذكر سبب لقبه هذا ، إلا في رواية أن الشاعر خطب أخت الزبرقان ، واسمها خُليدة ، فمنعه إياها، وردُّه لشيء كان في عقله[١٢] .

ونحن لم نجد الخفة في عقله ظاهرة في شعره أو فعله ، ولم يذكر الأوائل ذلك إلا في الرواية السابقة ، وهي وحيدة وضعيفة ، لأنها تعلقت بمنع الزبرقان خطبة المخبل لأخته خُليدة ، وجعلته سببًا للقبه هذا ، ويمكن لنا أن نتلمس أسبابًا أخرى لهذا المنع منها أن المخبل ينتسب

إلى بني أنف الناقة ، وليس من ودٍّ بينهم وبين الزبرقان ، وعلاقتهم غير محمودة ، مما دعا الحطيئة تفضيل مجاورتهم حينما ترك مجاورة الزبرقان لأسباب لا داعي لذكرها هنا ، ليغيظوا بذلك الزبرقان[١٣] ، فمدحهم في ذلك الحطيئة بقوله :

قَومٌ هُمُ الأَنفُ وَالأَذنابُ غَيرُهُمُ وَمَن يُسَوّي بِأَنفِ الناقَةِ الذَنَبا[١٤]

ويؤكد الدكتور شوقي ضيف هذه العلاقة بقوله : ((وفزع بنو أنف الناقة ــ إذ كانوا ينافسون عشيرة الزبرقان ــ حين علموا ذلك ، وعملوا على أن يفسدوا العلاقة بينه وبين زوج الزبرقان ، وكانت قد تراخت في استقباله ، وأتيحت بذلك الفرصة لبني أنف الناقة ، فضموا الحطيئة إليهم ، وبالغوا في إكرامه ، وانطلق يُثني عليهم ثناءً رائعًا ، معرِّضًا بالزبرقان ، بمثل قوله يخاطبه :

دَعِ المَكارِمَ لا تَرحَل لِبُغيَتِها وَاقعُد فَإِنَّكَ أَنتَ الطّاعِمُ الكَاسِي))[١٥] .

لعل العلاقة قد توضحت هنا بين قوم المخبل السعدي (أنف الناقة) وبين الزبرقان بن بدر ، وبذلك يكون سببًا كافيًا لرفض خطبة المخبل لخُليدة ، وليس لأنه كان يعاني من خفَّة في عقله ، فضلاً عن هذا فقد ذُكر بهذا اللقب (المخبل) في بعض الكتب ، ولم يذكر السبب الذي أدى إلى تلقيبه بـ (المخبل)[١٦] .

وقد عمَّر هذا الشاعر طويلاً ، فهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام ، ولعله مات في خلافة عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان (رضي الله عنهما) ، وهو شيخ كبير[١٧] ، ومع ذلك لم يفقد توازنه وإبداعه الشعري ، بل على العكس من ذلك نجده قد نحى بمنجزه الشعري منحى فنيًّا يؤهله لنيل مكانة بين فحول الشعراء ، مما يدل على بُعد خفة العقل عنه وهو شيخ ، فكيف إذا كان شابًا والدليل على ذلك قصيدته الرائعة في معاتبة ابنه شيبان ، فهي من الناحية الفنية والناحية الإنسانية مؤثرة جدًّا وبكل المقاييس الأدبية ، لما فيها من وصف دقيق لمظاهر الشيخوخة ومعاناة الشاعر منها ، وسنذكر أبياتًا منها فيما بعد .

شعره

عدَّ ابن سلام شعره في الطبقة الخامسة ، وقرنه بخداش بن زهير ، والأسود بن يعفر ، وتميم بن مقبل ، إذ قال : ((وللمخبل شعر كثير جيد ، هجا به الزبرقان وغيره، وكان يمدح بني قُريع ، ويذكر أيام سعد ، وشعره كثير))[١٨] .

نستدل من القول السابق أن المخبل ليس من المقلين ، فله شعر كثير جيد ، وأنه تميز بغرض الهجاء والمديح ، ولاسيما هجاؤه الزبرقان ، فقد أبدع فيه ، وإن كان له من الأغراض الشعرية الأخرى ، مثل : العتاب ، والفخر ، والنسيب ، وأنه شاعر من فحول الشعراء[١٩] .

ويرى أبو الفرج الأصفهاني أنه ((من المقلين))[٢٠] ، مؤكِّدًا على فحولته ((وأنه شاعر فحل))[٢١] .

وإذا أردنا أن نرجح أحد القولين في كثرة شعر المخبل أو قلته ، يكون الأمر حاسمًا بكثرة شعره ، لأن قول ابن سلاَّم أسبق من قول الأصفهاني ، فضلاً عما عُرف به ابن سلاَّم من كونه راوية وناقدًا علميًّا ثقة ، يستقصي الدقة العلمية ، وهو ما يؤهلنا للأخذ بقوله ، من دون النظر إلى من خالفه وإن تأخر عنه ، وقد يعزى سبب آخر إلى ذلك وهو أن الرواة قد أضاعوا كثيرًا من الشعر العربي القديم ، لأسباب معروفة ، فضلاً عن اهتمامهم بالمشهورين من الشعراء أكثر من اهتمامهم بمن هم أقل شهرة ، مما دفع بصاحب الأغاني إلى القول : إن المخبل من المقلين ، فالمخبل ليس من المقلين ، وهذا ما سيبينه البحث ، وإنه من المجيدين ، ولاسيما في الهجاء ، وبخاصة هجاء الزبرقان بن بدر .

أغراضه الشعرية

١. الهجاء

وهو من الأغراض التي تلفت نظر النقاد في شعر المخبل ، فقد فاق الأغراض الشعرية الأخرى وضوحًا وظهورًا وتميزًا في شعره ، وذلك على وفق ما وصل إلينا من شعره ، ولاسيما هجاؤه الزبرقان ، كما اتضح ذلك في قول ابن سلاَّم : ((وللمخبل شعر كثير جيد ، هجا به الزبرقان وغيره))[٢٢] .

وقد فضَّل ابن سلاَّم المخبل السعدي في غرض الهجاء على من خاصموه شعريًّا ، ولاسيما الزبرقان ، ((وقد تقدم عليه المخبل بالهجاء)) ، فضلاً عن أن إحصاءً سريعًا وموجزًا لشعر المخبل المجموع في كتاب (عشرة شعراء مقلون) يطلعنا على أن غرض الهجاء هو الأكثر ورودًا ، إذ إن عدد قصائد الهجاء خمس قصائد من مجموع ثماني قصائد ، أي إن القصائد الثلاث الأخرى توزعت بين الأغراض الشعرية الأُخر ، وهذا العدد كاف للاعتقاد أن غرض الهجاء هو الأكثر وضوحًا .

ويذكر ابن سلاَّم سبب الهجاء بين المخبل والزبرقان أن الأول خطب أخت الثاني خُليدة ، فمنعه إياه ، وردَّه لشيء كان في عقله[٢٣] ، إلا أننا نرجح أن سبب الهجاء ما كان بين قبيلتيهما من خلاف ، فالسبب القبلي أدعى للهجاء من السبب الشخصي ، على افتراض وجود

السبب الأخير ، ولعل تفوق المخبل على الزبرقان في الهجاء مكنه من فنه ومقدرته الشعرية ، مع أن الزبرقان كان ((شاعرًا مُفْلِقًا ، وكان يعاتبهم ، ولم يكن يهجوهم ، وكان حليمًا ، وكانا في عداوتهما مجملين ، وقد تقدم عليه المخبل بالهجاء))[٢٤] ، ومثل هذا القول يرفع من القيمة الشعرية للمخبل السعدي .

كان المخبل في هجائه مقذعًا ، لا يبالي أن يذكر فيه ما كان فاحشًا وبعيداً عن الأخلاق ، والنيل من الأعراض[٢٥] ، وفي بعض الأحيان لا يتعدى هجاؤه ذكر الصفات الخلقية وتشويهها بما يناسب موضوعه ، كما في قوله :

أُنبِئتُ أَنَّ الزبَرقَانَ يَسُبُّني سَفَهاً وَيَكرَهُ ذو الحِرَينِ خِصَالِي

وإنما سماه ذا الحرين ، لأنه كان مبدِّنًا ، فكان له ثديان عظيمان ، فسبّه بهما وشبههما بالحرين[٢٦] .

ومثل هذا الهجاء لا يلقى صدى عند المتلقي ، ولا يؤثر في المهجوِّ التأثير المراد منه ، وهذا ما أكده ابن رشيق في قوله : ((وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب ، فالهجاء به دون ما تقدم))[٢٧] .

نرى أن سبب ذلك اهتمام العرب بمكارم الأخلاق التي تزينوا بها ، مؤثريها على زينة الملبس والمظهر ، وإن وجت بينهم ، إلا أنهم تجملوا بالشجاعة والكرم والمروءة وغيرها من مزايا أخلاقية تؤهلهم لنيل الفضائل التي يبتغوها من مدحهم ، فإن هجا الشاعر امرأً وسلبه هذه المكارم فإنه نال مراده ووصل غايته .

ونرى الهجاء عند المخبل تارة أقل قيمة ، حينما يلجأ إلى الصورة الجسمية ويشوهها ، لأنه بذلك لا يرقى إلى الذوق الأدبي المعهود في الشعر ، وأُخرى نراه قد جمع في هجائه بين الصفات الخلقية والخلقية ، مثل قوله في هجاء الزبرقان بن بدر :

أَفَلا يُفاخِرُني لِيَعلَمَ أَيُّنا أَدْنَى لأَكرَمَ سُؤدُدٍ وَفَعالِ
وَأَبوكَ بَدرٌ كانَ مُشتَرَطَ الخُصى وَأَبي الجَوادُ رَبيعَةُ بنُ قِتالِ[٢٨]

ولا يخفى على المتلقي من أن البيت الأول أكثر تأثيرًا فنيًّا ، لأنه أبعده عن ذكر المعايب الجسمية ، فذكر فيه أفعال قومه وكرمهم وسؤددهم ، أما البيت الثاني فقد أنزله عن قيمته الجمالية والفنية ، لاهتمامه بجوانب الخلقة الجسمية ، ومظاهر تشويهها ، وهذا ما أكده ابن رشيق في قوله : ((فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم ،

وقدامة لا يراه هجوًا البتة ، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيبًا ، ولا يعد الهجو به صوابًا))[٢٩] .

وحينما نتفحص قصائد الهجاء عند المخبل السعدي نجده أحيانًا قد وقع في الإسفاف والبذاءة ، والذي يعدُّ الهجاء المقذع ، ولاسيما هجاؤه الزبرقان الذي زوج أخته لرجل يدعى (هزالاً) ، فهجاه المخبل وعيَّره به بقوله :

لَعَمـرُكَ إِنَّ الزِبرِقانَ لَدائِمٌ   عَلى النَّاسِ تَعْدُو نَوكُهُ وَمَجاهِلُه
أَأَنكَحتَ هَزّالاً خُلَيدَةَ بَعدَما   زَعَمتَ بِظَهْرِ الغَيْبِ أَنَّكَ قاتِلُه
فَأَنكَحتَهُ ....
....[٣٠]

نخلص من أبياته التي لم أستطع إكمالها لفحشها الذي أوجب عدم ذكرها أنه قد انزلق في الكلام البذيء ، الذي لم يوصل شعره إلى القيمة والجودة الفنية والذي ابعده عن القيمة الفنية المبتغاة من الشاعر في سبك اللفظ المعانق للمعنى ، ((فخير الهجاء ما ذكرته العذراء في خدرها دون أن يقبح قولها وكلامها))[٣١] .

ولعل هجاءه المقذع يعزى إلى كون الشاعر قال أكثره في العصر الجاهلي ، من دون أن يهذب كلماته ويطوعها بما يتناسب والمثل الخلقية التي أثرت على الشاعر بعد دخوله الإسلام فيما بعد ، ناهيك عن أن العمر يكون عاملاً مؤثرًا ورادعًا لثورة الشباب المكونة للطبيعة الشعرية ، فضلاً عن تعب الشيخوخة ومعاناته منها ألهته عن قول الفحش ، وهذبت كلماته ، إلا أننا لا نستطيع أن نبعده عمَّا قاله ابن سلاَّم في حقه من أنه شاعر فحل ، واتفق معه على ذلك أبو فرج ، فله شعر كثير جيد ، هجا به الزبرقان وغيره ، فلو استقرينا قصيدة هجائية أخرى لوجدناه قد أبدع فيها أيما إبداع ، متمكنًا من ناحية القول الشعري ، وذلك باستحضار المفردات الشعرية الموصولة بين الإبداع الشعري وبين المؤثر الكلامي في المتلقي ، تمتلك مثل هذه القصيدة القيمة الفنية والجمالية المؤثرة في نفس الهاجي والمهجو ، إيجابيًّا للأول وسلبيًّا للثاني ، فهي مزيج من الفخر بنفسه والهجاء لخصمه ، إذ قال :

لَعَمرُكَ إِنَّ الزِّبرَقانَ لَدائِبُ   عَلى النَّاسِ يَعدو نَوكُهُ وَمَجاهِلُه
وَلَمّا رَأَيتَ العِزَّ في دارِ أَهلِهِ   تَمَنَّيتَ بَعدَ الشَّيبِ أَنَّكَ ناقِلُه
وَلَمّا نَرَ الأَخفافَ تَمشي عَلى الذُرى   وَلَمّا يَكُن أَعلى العَضاةِ أَسافِلُه
وَلَمّا يَزَل عَلى رَأسِ صَهوَةِ عِصمِها   وَلَمّا يَدَع وِردَ العِراقِ مَناهِلُه
وَيَنفُسُ في مَا أَورَثَتنِي أَوائِلي   وَيَرغَبُ عَمّا أَورَثَتهُ أَوائِلُه

فَإن كُنتَ لَم تُمسِي بحَظِّكَ راضِياً فَدَع عَنكَ حَظّي إنَّني اليومَ شاغِلُه
أَتَيتَ امرَءاً أَحمى عَلى الناسِ عِرضَهُ فَما زِلتَ حَتّى أَنتَ مُقعٍ تُناضِلُه
فَأَقعِ كَما أَقعى أَبوكَ عَلى استِهِ رَأى أَنَّ ريماً فَوقَهُ لا يُعادِلُهُ[٣٢]

نلحظ هنا أن القصيدة الهجائية قد نضجت عند المخبل السعدي ، فأجاد فيها بطرائق أبعدته عن دائرة الهجاء المقذع ، الذي فيه هتك الأعراض ، مقتربًا من هجاء ممكن أن يتنافس فيه مع غيره ، فيفوقهم مقدرة وملكة شاعرية رفيعة المستوى ، معتمدًا على إمكانية أسلوبية واضحة في القصيدة ، وبشكل جلي لا يقبل الشك ، كما تبين ذلك في تكراره للفظة (لمَّا) تكرارً فنيًّا مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالمضمون ، محققًا بذلك معادلاً موضوعيًّا رائعًا ، لما لهذا الحرف (لما) من وجوه متعددة تفي الغرض الذي يطلبه الشاعر ، إذ إن (لما) قد تكون نافية بمنزلة (لم) ، أو إيجابية بمنزلة (إلا) ، أو أن تكون رابطة لوجود شيء بوجود غيره[٣٣].

وتظهر في هذه القصيدة إمكانية استحضاره للصورة الشعرية الملائمة لهجائه ، وهو يبعد عن المهجو العز ويتهمه بالحمق والطيش والسفه والاعتداء الدائم على الناس، من غير وجه حق ، ويتأتى إبداعه من أنه قد نأى بفنه عما يشينه من هجاء مقذع ، يحط من قيمته الجمالية ، فقد جعل العز في داره وتمنى المهجو أن ينقله إليه ، وهنا تأتي قوة اللفظة المساندة لقوة المعنى ، من خلال إيراده كلمة (تمنيت) ، ليؤكد بها أن أمنية المهجو في نيل العز من المستحيل تحقيقها ، وذلك لأن التمني هو الرغبة في شيء لا يمكن حدوثه .

وبعد ذلك تأتي الصورة الشعرية لتضفي على الأبيات الشعرية قوة دلالية من خلال استعمال الفنون البلاغية ، كما يظهر ذلك في البيتين الثالث والرابع ، إذ عبر من خلال فن الكناية عن كرمه وشرفه وسخائه ، سائلاً كيف تنقل العز والشرف إلى بيتك ، ولم ينقلب أمر الدنيا بعد ، كما أن الزبرقان لا يبلغ مبلغه ، إلا إذا تبدل كل شيء عن حالته إلى نقيضة ، حتى نرى القدم تمشي على الرأس ، ويصبح الشعر منكوسًا في مغارسه ، ويلزم المخبل نفسه بشاعريته الموصولة بجودة سبك اللفظ المعانق للمعنى الملائم لهزيمة خصمه ، فيصفه حاسدًا له بكلمة مناسبة ومؤثرة ألا وهي (ينفس) ، فيحسده الزبرقان على ما أورثه آباؤه ، ويزهد فيما خلف له أوائله من الضعة والهوان ، ومثل هذه المقابلة الرائعة بين حال الشاعر وحال خصمه تزيد من القيمة الإبداعية الشعرية عند المبدع ، ويستمر المخبل في سلب المكارم من المهجو شيئًا فشيئًا ، مستندًا في ذلك إلى الصورة الشعرية المناسبة للمعنى المراد إيصاله ، كما في البيت الأخير .

الملاحظ من استقراء قصائد الهجاء في المنجز الشعري للمخبل السعدي أنه قد ذهب فيه مذهبين :

الأول : مقذع معتمدًا فيه على هتك الأعراض والإسفاف والبذاءة في الألفاظ ، ومثل هذا الهجاء يقلل من القيمة الفنية للشعر ، ولعل السبب في وجود مثل هذا الهجاء في شعره أن الشاعر عاش شبابه في الجاهلية ، فكان غير متحرج من ذكر الألفاظ الفاحشة ، وشجعه على ذلك العصر الذي عاش فيه وثورة الشباب .

والثاني : هجاء معتدل في ألفاظه ، ذو قيمة فنية وجودة شعرية تلفت انتباه المتلقي ، وقد يكون السبب هو دخوله الإسلام ، فضلاً عن مرحلة الشيخوخة التي لا يتناسب معها اللفظ البذيء ، وكفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيًا عمَّا يشين من القول ، والدليل قوله :

وَلَمّا رَأَيتَ العِزَّ في دارِ أَهلِهِ تَمَنَّيتَ بَعدَ الشَيبِ أَنَّكَ ناقِلُه[٣٤]

مؤكدًا بذلك بلوغه الشيخوخة بقوله : (بعد الشيب) ، في مرحلة صادفت مجيء الإسلام والذي كان له دور مهم ورئيس في تهذيب الأغراض الشعرية ، ولاسيما غرض الهجاء ، الذي كان وما زال أساسيًّا إلى جانب الأغراض الأخرى ، متعلقًا بنوازع نفسية وإرهاصات فكرية إنسانية ، نقيضًا للمديح في انتزاع الصفات الحميدة التي يثبتها ويؤكدها غرض المديح .

فلهذا امتلك الشاعر ناصية القول ، وعمقًا في التصوير وإبداعًا فنيًّا من خلال تهذيب قوله وإبعاده عن الإسفاف في الهجاء المقذع[٣٥] ، فاعتمد كل الاعتماد على إبراز الصورة الشعرية الصادقة بمعطياتها الإبداعية ومقوماتها المتوخاة من الأساليب البلاغية والمستويات الأسلوبية ، والمستوى الدلالي الموصول بالمفردة ودلالتها اللغوية .

٢. العتاب :

وهو من موضوعات الشعر العربي ، حدده ابن رشيق في قوله : ((وللعتاب طرائق كثيرة ، وللناس فيه ضروب مختلفة ، فمنه ما يمازجه الاستعطاف والاستئلاف ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف ، وقد يعرض فيه المن والإجحاف ، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف))[٣٦] .

وعند بحثنا في شعر المخبل نجد عتابه رقيقًا شغفًا يحمل بين ثناياه العاطفة الإنسانية المشحونة بالأحاسيس المرهفة ، والمشاعر الصادقة التي تنأى بالمرء عن طريق الذلة ، فالشاعر وإن وصف حالة الشيخوخة وما أصابه من ضعف مشيته وبصره ، حتى يرى

الشخص شخصين ، إلا أنه لم يذلل نفسه بل جعل ابنه المجاهد عاقًّا عق بأبيه لتركه إياه وهو مسنًّا ، إذ قال معاتبًا ابنه شيبان الذي ذهب مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس ، فجزع الشاعر عليه جزعًا شديدًا :

أَيُهلِكُني شَيبانُ في كُلِّ لَيلَةٍ ... لِقَلبِيَ مِن خَوفِ الفِراقِ وَجيبُ
أَشَيبانُ ما أَدراكَ أَن كُلَّ لَيلَةٍ ... غَبَقتُكَ فيها وَالغَبوقُ حَبيبُ
غَبَقتُكَ عُظماها سَناماً أَوِ انبَرى ... بِرِزقِكَ بَرّاقُ المُتونِ أَريبُ
أَشَيبانُ إِن تَأبى الجُيوشُ بِحَدِّهِم ... يُقاسونَ أَيّاماً لَهُنَّ خُطوبُ
وَلا هَمَّ إِلا البَزُّ أَو كُلُّ سابِحٍ ... عَلَيهِ فَتىً شاكي السِلاحِ نَجيبُ
يَذودونَ جُندَ الهُرمُزانِ كَأَنَّما ... يَذودونَ أَورادَ الكِلابِ تَلوبُ
فَإِن يَكُ غُصني أَصبَحَ اليَومَ ذاوِياً ... وَغُصنُكَ مِن ماءِ الشَبابِ رَطيبُ
فَإِنّي حَنَت ظَهري خُطوبٌ تَتابَعَت ... فَمَشيي ضَعيفٌ في الرِجالِ دَبيبُ
إِذا قالَ صَحبي يا رَبيعُ أَلا تَرى ... أَرى الشَخصَ كَالشَخصَينِ وَهوَ قَريبُ
وَيُخبِرُني شَيبانُ أَن لَن يَعُقَّني ... تَعُقُّ إِذا فارَقتَني وَتَحوبُ
فَلا تُدخِلَنَّ الدَهرَ قَبرَكَ حَوبَةً ... يَقومُ بِها يَوماً عَلَيكَ حَسيبُ[٣٧]

نلحظ التأثير الإسلامي الواضح في هذه القصيدة المثقلة بالهموم والمحملة بالمعاناة الإنسانية النفسية للشيخوخة ، التي يتجرعها المرء بمضاضة ، منبثة بين كلماته وأنفاسه المتعبة ، فنلمس مثل هذا التأثير الإسلامي في البيت العاشر ، وكأنه استمد فكرة العقوق من قوله ﷻ : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾[٣٨] .

تظهر هذه القصيدة مقدرة الشاعر الفنية وشاعريته التي تميز بها ، والمتأمل للألفاظ يجد فيها التميز الأسلوبي الذي يتضح باستعمال التراكيب والألفاظ المناسبة والملائمة لمشاعره الإنسانية ، فمثلاً كرر الشاعر اسم ابنه (شيبان) أربع مرات كدلالة واضحة على تعلقه واحتياجه الشديد لابنه ، وهو يعاني من متاعب الشيخوخة ، فما انفك المرء يذكر وينادي اسم من كان قريبًا على قلبه وعقله ، ويظهر الشاعر لنا صورة متكاملة للشيخوخة من أصدق ما يكون ، واصفًا إياها بدقة متناهية وبعبارات أحاطت بمشاعر المتلقي وأحاسيسه ، وتمكنت من مشاركته والإصغاء والتأمل لمعاني القصيدة ، التي تعد مظهرًا من مظاهر الروائع الإنسانية ، ويبدو تأثيرها على المتلقي واضحًا وجليًا ، حتى أن عمر بن الخطاب ﷺ بكى ورقَّ له حينما أنشده هذه الأبيات ، فكتب إلى سعد يأمره أن يردَّ شيبان إلى أبيه ، فلمَّا ورد الكتاب عليه أعلم

شيبان وردّه فسأله الإغضاء عنه ، وقال : لا تحرمني الجهاد ، فقال له : إنها عزمة من عمر ، ولا خير لك في عصيانه وعقوق شيخك ، فانصرف إليه ، ولم يزل عنده حتى مات[٣٩] . وصدق قول المخبل حين قال :

وَيُخبِرُني شَيبانُ أَن لَن يَعُقَّني تَعُقُّ إِذا فارَقتَني وَتَحوبُ[٤٠]

وهناك عتاب المخبل لنفسه ، ومنه عتابه لنفسه لأنه قد قال هجاءً في خُليدة أخت الزبرقان بن بدر ، وذلك لأنها أكرمته بعدما أسن وضعف بصره ، فقال :

لَقَد ضَلَّ حِلمي في خَليدَةَ ضَلَّةً سَأُعتِبُ قَومي بَعدَها وَأَتوبُ
وَأَشهَدُ وَالمُستَغفِرُ اللَهُ أَنَّني كَذَبتُ عَلَيها وَالهِجاءُ كَذوبُ[٤١]

يتبين لنا في هذين البيتين تأثيران في شعره ، الأول : الشيخوخة ، والثاني : الإسلام ، مما أضفى على كلامه رقَّة وإنسانية مناسبة لعمره ودينه ، إذ نشعر بهذا التأثير الإسلامي في البيت الثاني ، مما زيَّن قوله وزاده قوة وقدرة فنية .

يعد عتاب الشاعر لابنه شيبان مما ذكره ابن رشيق في قوله : ((فمنه ما يمازجه الاستعطاف والاستئلاف ، ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف))[٤٢] .

أما عتابه لنفسه على هجاء خليدة فقد كان مما قاله ابن رشيق : ((وقد يعرض فيه المن والإجحاف ، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف))[٤٣] ، وهذا يعد أكرم العتاب وأفضله ، لأن الإنسان إذا عاتب شخصًا على فعل مشين كان حريًّا به أن يعاتب نفسه إذا قام بفعل غير لائق ، فالشاعر الذي عاتب ابنه لهجر أبيه وتركه فجعله عاقّاً ، وجهاده غير ملزم ، أدرك خطأه في هجاء خليدة ، فألزم نفسه هذه المعاتبة اللطيفة ، جاعلاً هجاءه كذبًا اضطر إليه في شبابه ، وفي هذين البيتين نلمس تأثير الشيخوخة والإسلام في ترجيح العقل على العاطفة ، وإدراك الحق وإن شط عنه لمدة من الزمن .

ونختم قولنا بما قاله ابن رشيق : ((وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئًا يحتاج أن يعتذر منه ، فإن اضطره المقدار إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ، فليذهب مذهبًا لطيفًا ، وليقصد مقصدًا عجيبًا ، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه ، وكيف يمسح اعطافه ، ويستجلب رضاه))[٤٤] .

٣. المديح :

هو فن يعبر فيه الشاعر عن الإعجاب بالفضائل العربية ، مثل : السماحة ، والكرم ، والحلم ، والمروءة ، والعفة ، والإباء ، والشمم ، والعدل ، والقوة ، والشجاعة ، وهي

صفات طالما تغنَّى بها أبناء العربية واعتزوا بها ، فلذلك كان صوت المخبل السعدي منطلقًا من هذا المنطلق الذي يعطي للقيم الأصيلة ما تستحق من ثناء ، ويسبغ على من يستحق المدح هذه القيم ، وقد اقتصرت مدائحه على الذين كان لهم الفضل عليه ، سواء بنعمة أم بمعروف أم بصلة ، ومن ذلك مدحه علقمة بن هوذة ، ذاكرًا ما وهبه إياه من مال ، فقال فيه :

فَجَزى الإِلَـهُ سُـراةَ قَـومي نُـصرَةً ... وَسَـقاهُمُ بِمَـشارِبِ الأَبـرارِ
قَـومٌ إِذا خـافوا عِثـارَ أَخـيهِمُ ... لا يُـسلِمونَ أَخـاهُمُ العِثـارِ
أَمثالُ عَلقَمَـةَ بـنِ هـوذَةَ إِذ سَـعى ... يَخـشى عَلَـيَّ مَتـالِفَ الأَبـصارِ
أَثنَـوا عَلَـيَّ فَأَحـسَنوا فَتَرافَـدوا ... لـي بِالمَخـاضِ البَـزلِ وَالأَبكـارِ
وَالـشَولُ يَتبَعُهـا بَنـاتُ لَبونِهـا ... شُـرُقاً حَناجِرُهـا مِـنَ الجَرجـارِ(٤٥)

يتـبادر إلى الذهن من تأمل هذه الأبيات أنها تقليدية في إظهار كرم الممدوح ، وكأنها تعبير عن ردِّ المعروف ، لما وهبه إياه علقمة من مال ، من دون أن يظهر المشاعر الإنسانية الحقيقية الممكن تخللها بين ثنايا القول الشعري ، حتى أن الأثر الإسلامي كان تقليديًّا لا يتعدى البيت الأول ، الذي يدعو فيه أن يجزى ممدوحه الجزاء الحسن ، ويجعله الله من الأبـرار ، الذين يستحقون الثواب ، فلا يضفي على ممدوحه صفات إسلامية ممكن أن ترفع مـن شـأن ممدوحه .

أما مدحه بغيضًا بن عامر بن شماس ، الذي تحمَّل عن ابنه (زرارة) الدية ، وكـسا المخبل حلة ، وأعطاه ناقة نجية ، فيقول :

لَعَمـرُ أَبيـكَ لا أَلقـى اِبـنَ عَـمٍّ ... عَلـى الحَـدَثانِ خَيـراً مِـن بَغـيضِ
أَقَـلُّ مَلامَـةً وَأَعَـزُّ نَـصراً ... إِذا مـا جِئـتَ بِـالأَمرِ المَـريضِ
كَـساني حِلَّـةً وَحَيـا بِعِـنسٍ ... أَبُـسُّ بِهـا إِذا اِضـطَرَبَت غُروضـي
غَـداةَ جَنـى بُنَـيَّ عَلَـيَّ جُرمـاً ... وَكَيـفَ يَـدايَ بِـالحَربِ العَـضوضِ
فَقَـد سَـدَّ الـسَبيلَ أَبـو حُمَيـدٍ ... كَمـا سَـدَّ المُخاطَبَـةَ اِبـنُ بـيضِ(٤٦)

ويبدو أن هذا المدح جاهلي في صورته ومخاطبته ، ويتضح ذلك جليًّا للمتلقـي ، إذ أضفى على ممدوحه صفات هي أقرب إلى المجتمع العربي القـديم مـن الكـرم والـشجاعة والمروءة ، حتى إنه أقتبس مثلاً قديمًا في قوله : (كما سدَّ المخاطبة ابن بيض)(٤٧) ، لإظهار كرم ممدوحه بطريقة لم يتعامل معها الشاعر بتجربة شعرية نابعة من حالة شعورية نفـسية ، إنما هي تقليدية بحتة .

٤. النسيب :

يعود الاهتمام بالنسيب إلى كونه مظهرًا نفسيًّا ذاتيًّا ، أراد الشاعر الجاهلي أن ينفذ من خلاله إلى خلق عوالم أخرى ، لتكوين محاور متكاملة لقصيدته ، وإنما لجأ إلى النسيب لجذب انتباه المتلقي بحلو الكلام ، ولطافة القول وبث مشاعر النفس وأحاسيسها، والميل الفطري لدى الأنثى هو مصدر انبعاث هذه الألوان النفسية ، إلا أننا لا نستطيع أن نقول : إن مهمة المرأة في القصيدة الجاهلية تتحدد وتقتصر على هذا المثال الذي حددنا ملامحه ، وإنما لها منطلقاتها النفسية التي تهيء التجربة الموضوعية من خلال استلهام التجربة الشعرية .

لقد حدد ابن رشيق النسيب بقوله : ((حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رَسْلها ، قريب المعاني سَهْلها ، غير كز ولا غامض ، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى ، لين الإيثار ، رطب المكسر ، شفاف الجوهر ، يطرب الحزين ، ويستخف الرصين))[٤٨] .

يمثل النسيب في شعر المخبل السعدي محورًا أساسيًّا من محاور بنية القصيدة المكتملة ، تقليديًّا بطبيعته في تشكيل الحدث الشعري ، إذ إنه يطوِّع عنصر المرأة لجعلها عنصرًا مهمًا للتأثير على المتلقي ، ومن ذلك قوله :

أتهجر ليلى للفراق حبيبها وما كان نفسًا بالفراق تطيب
إذا قيل من ماء الفرات وطيبه تعرض لي منها أغن غضوب[٤٩]

وقد يكون نسيبه موصولاً بما بعده من مدح ، فهيّاَ له ، إذ يشكل أرضية فنية ملائمة للفضائل التي يريد الشاعر بثها في قصيدته ، فتتضافر التجربة النفسية والأحداث ، لتهيئ جوًّا ملائمًا لانطلاق التجربة الموضوعية ، كما في قوله :

أعرفت من سلمى رسوم دار بالشط بين مخفق وصحار
وكأنما أثر النعاج بجوها بمدافع الركنين وداع جوار
وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياء جافية عن الأخبار
وكأن عيني غرب أدهم داجن متعود الإقبال والأدبار[٥٠]

ونلحظ من مقدمته الغزلية أيضًا من الصور الشعرية التي تجعله متغزلاً متمكنًا ، يتميز نسيبه بالطاقة الشاعرية والمشاعر الإنسانية الصادقة في حبه لأهله وديارهِ[٥١] ، فيصف بيئته التي عاش فيها وصفًا دقيقًا يكاد القارئ يشاركه هذه البيئة ، كما في قوله :

ذكر الرباب وذكرها سقم فصبا وليس لمن صبا حلم
وإذا ألمَّ خيالها طرفت عيني فماء شؤونها سجمُ

كـــاللؤلؤ المـــسجور أغفـــل فـــي ســـــلك النظـــــام فخانـــــه الـــــنظمُ[٥٢]

ونراه لا يتوقف عند اسم معين لامرأة محددة في نسيبه ، بل يتنقل بين عدة أسماء منها : (ليلى ، وسلمى ، ورباب) ، ليؤكد أن غزله كان تقليديًّا وباعثًا من بواعث التـــأثير علـــى المتلقي ، ليشده إلى غرضه الرئيس الذي قد يكون مدحًا أو فخرًا ... الـــخ مـــن الأغـــراض الشعرية .

خلاصة

نلحظ من خلال استقراء المنجز الشعري للمخبل السعدي استحضار التجربة النفسية لمخاض التجربة الشعرية الناجحة ، ليدنو من الإبداع الفني ويتمكن منه ، والذي نتج عن الإحساس النفسي الإنساني الصادق ، حاملاً معه الرقة ولطافة القول ، كما رأينا ذلك في معاتبته لابنه شيبان ، وفي بعض الأحيان نلمس البعد عن التلاقي الإبداعي بين التجربة الشعرية والمعاناة النفسية ، مما يؤدي بنا إلى قراءة منجز شعري خالٍ من التأثير الفني على المتلقي ، وذلك كما في مديحه ، ونجده حاضرًا كل الحضور كونه غزليًّا مرهف الإحساس ، مقنعًا بما أتى به من نسيب بثَّ فيه المشاعر العذبة ، وفي كل هذا يتذبذب الأثر الإسلامي في شعره ، فتارة نراه واضحًا جليًّا[٥٣] ، وأخرى يبتعد بنا إلى مجتمعه العربي القديم قبل الإسلام متأثرًا به[٥٤] ، في روحه واقتباساته وبثه وفرحه .

هوامش البحث وقائمة المصادر والمرجع

(١) اختلفت الروايات في اسمه ، فهو الربيع بن الربيع ، وكعب بن ربيعة ، وربيعة بن مالك . ينظر في ذلك : الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة ــ تحقيق : مفيد قميحة ــ راجعه : الأستاذ نعيم زرزور ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٨٥ م ،ج١ ص ٢٦٩ ، الأغاني ــ أبو فرج الأصفهاني ــ شرحه : الدكتور علي طويل ــ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٨٦ م ، ١٣ / ص ٢١٠ ، وكتاب الأعلام ــ خير الدين الزركلي ــ الطبعة الثالثة ــ ٣ / ص ٤٢ .

(٢) ينظر : طبقات فحول الشعراء ــ محمد بن سلاَّم الجمحي ــ قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ــ مطبعة المدني ــ مصر ــ ١٩٧٤ م ، السفر الأول / ص ١٤٣ ، والشعر والشعراء ، ص ٢٦٩ ، والأغاني ١٣ / ٢١٠ ، والأعلام ٣ / ٤٢ .

(٣) ينظر : الأغاني ١٣ / ٢١٢ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه ١٣ / ٢١٥ .

(٥) شرح ديوان الفرزدق ــ شرحه : ايليا الحاوي ــ منشورات دار الكتاب اللبناني ــ مكتبة المدرسة ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٨٣ م ــ الجزء الثاني / ص ٥٨٥ ، وينظر : الأغاني ١٣ / ٢١٠ ، للتأكيد على أن الفرزدق عنى المخبل السعدي بهذه الكنية ..

(٦) ينظر : الأغاني ١٣ / ٢١١ ، و(الوجيب) : الخفقان .

(٧) ينظر ما روي عنه من أحداث في : الأغاني ١٣ / ٢١٥ .

(٨) تنظر الأبيات الأخرى في : الأغاني ١٣ / ٢١٦ ــ ٢١٧ ، و(المخالس) : الذي يأخذ غيره خلسة ، وحُطيم بن علباء سيد قوم بني علباء ، قبل الدية لقتل زرارة أحد أبناء قومه .

(٩) المصدر نفسه ١٣ / ٢١٤ .

(١٠) هناك عدة شعراء يلقبون باللقب نفسه ، منهم : المخبل بن شرحبيل ، والمخبل الثمالي ، وكعب المخبل ، إلا أن الشاعر الذي ندرسه أشهر هؤلاء ، وقد لقب بـ (المخبل السعدي) أو (المخبل القريعي) . ينظر في ذلك : كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ــ الآمدي ــ تصحيح وتهذيب : المستشرق الدكتور فريتس كرنكو ــ مكتبة القدسي ــ القاهرة ــ ١٣٥٤ ، ١٧٧ ــ ١٧٨ ، وينظر : المصدر نفسه للإطلاع على ترجمة الذين يلقبون اللقب نفسه .

(١١) ينظر : الشعر والشعراء ٢٦٩ .

(١٢) ينظر : الأغاني ١٣ / ٢١٣ .

(١٣) ينظر : تاريخ الأدب العربي _ العصر الإسلامي ــ الدكتور شوقي ضيف ــ دار المعارف ــ مصر ــ الطبعة التاسعة ، ص ٩٧ .

(١٤) ديوانه ــ تحقيق : نعمان أمين طه ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ــ ١٩٥٨ ، ص ٢٧٣ .

(١٥) العصر الإسلامي ٩٧ .

(١٦) على سبيل المثال : طبقات فحول الشعراء ١ / ١٤٣ ، والشعر والشعراء ٢٦٩ ، والمؤتلف والمختلف ١٧٧ ، ١٧٨ .

(١٧) ينظر : الأغاني ١٣ / ٢١٠ ، والأعلام ٣ / ٤٢ .

(١٨) طبقات فحول الشعراء ١ / ١٤٣ .
(١٩) المصدر نفسه ١ / ١٤٩ .
(٢٠) الأغاني ١٣ / ٢١٠ .
(٢١) المصدر نفسه ١٣ / ٢١٠ .
(٢٢) طبقات فحول الشعراء ١ / ١٤٣ .
(٢٣) المصدر نفسه ١ / ١٤٩ .
(٢٤) المصدر نفسه ١ / ١٥٠ .
(٢٥) تنظر الأبيات الشعرية في : الأغاني ١٣ / ٢١٤ ــ ٢١٥ .
(٢٦) ينظر : الأغاني ١٣ / ٢١٤ .
(٢٧) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ــ ابن رشيق القيرواني ــ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ــ دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الرابعة ــ ١٩٧٢ ، ٢ / ص ١٧٤ .
(٢٨) الأغاني ١٣ / ٢١٥ .
(٢٩) العمدة ٢ / ١٧٤ .
(٣٠) تنظر الأبيات الأخرى في : الأغاني ١٣ / ٢١٤ لما فيها من الفحش أوجب عدم ذكرها في البحث ، و(النوك) : الحمق .
(٣١) العمدة ٢ / ١٧٠ .
(٣٢) طبقات فحول الشعراء ١ / ١٤٩ ــ ١٥٠ .
(٣٣) شرح قطر الندى وبل الصدى ــ ابن هشام الأنصاري ــ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ــ مكتبة السعادة ــ مصر ــ الطبعة الحادية عشرة ــ ١٩٦٣ م ، ص ٤٢ .
(٣٤) طبقات فحول الشعراء ١ / ١٤٩ .
(٣٥) تنظر أبياته في : ديوان الحماسة ــ أبو تمام ــ تحقيق : الدكتور عبد المنعم أحمد صالح ــ دار الرشيد للنشر ــ ١٩٨٠ م ، ص ٤٩٨ .
(٣٦) العمدة ٢ / ١٦٠ .
(٣٧) الأغاني ١٣ / ٢١١ ، و(الوجيف) : الخفقان ، و(الغبوق) : الشرب في العشي ، عُظماها : تفضيل من العِظَم ، براق المتون : عنى به السيف ، و(الأريب) : المغتال ، و(حدهم) : سيفهم ، و(البز) : السلاح ، و(السابح) : الفرس السريع يسبح في جريه ، و(الهرمزان) : الكبير من ملوك العجم ، و(تلوب) : تحوم .
(٣٨) سورة الإسراء ، آية (٢٣) .
(٣٩) ينظر : الأغاني ١٣ / ٢١٢ .
(٤٠) المصدر نفسه . ٢١٢/١٣
(٤١) الشعر والشعراء / ٢٢٩ ، الأغاني ١٣ / ٢١٨ برواية أخرى .
(٤٢) العمدة ٢ / ١٦٠ .ج١
(٤٣) المصدر نفسه .١٦٠/٢
(٤٤) المصدر نفسه ٢ / ١٧٦ .

(٤٥) الأغاني ١٣ / ٢١٩ ، و(المخاض) : الحوامل من النوق ، و(البزل) : ما بلغ من الإبل التاسعة ، و(الابكار) : النوق التي ولدت أول بطن ، و(الشول) جمع مفرده : شائلة ، وهي : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر ، فارتفع ضرعها وجف لبنها ، و(شرقت حناجرها) : غصت ، و(الجرجار) : عشبة لها زهيرة صفراء .

(٤٦) الأغاني ١٣ / ٢١٥ ، و(العنس) : الناقة الصلبة القوية ، و(بسَّ الإبل) : ساقها سوقًا لينًا وزجرها ، و(الغروض) جمع مفرده : غرض ، وهو للرحل كالحزام للسرج ، و(العضوض) : الشديدة .

(٤٧) مجمع الأمثال ١ / ٣٢٩ ، و(لقد سد) بدل فقد سدَّ وسد ((ابن بيض الطريق)) ، مثل ، ويروى : ابن بيض ، بكسر الباء أيضًا ، قال الأصمعي : أصل المثل أن رجلاً كان في الزمن الأول يقال له : (ابن بيض) ، عقر ناقة على ثنية ، فسد بها الطريق ، فمنع الناس من سلوكها .

(٤٨) العمدة ٢ / ١١٦ .

(٤٩) عشرة شعراء مقلون ــ الدكتور حاتم الضامن ــ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ــ مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ــ الموصل ــ ١٩٩٠ م ، ص ٥٨ والأبيات الأخرى .

(٥٠) المصدر نفسه ٦٢ ، هذه الأبيات وما بعدها .

(٥١) المصدر نفسه

(٥٢) المصدر نفسه ٧٠ ، وما بعدها من الأبيات التي يصف فيها البيئة التي عاشها .

(٥٣) : الأغاني ١٣ / ٢١٨ .

(٥٤) : المصدر نفسه ١٣ / ٢١٥ .